بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

عبرى

للدكتور ابراهيم أنيس

עִבְרִי עִבְרִים

ينقسم أصحاب الدراسة التقليدية بصدد تأصيل الاسم « عبرى » إلى فريقين : فريق يختصر طريق البحث ويذهب إلى أن هذا الاسم ترجع نسبته إلى أحد أحفاد نوح المسمى عابر بن شالح أرفكشاد سام[1] ؟؟!

ويرون أن تلقيب « أبرام » بلقب « العبرى » فى النص[2] : فأتى من نجا وأخبر أبرام العبرى

וַיָּבֹא הַפָּלִיט וַיַּגֶּד לְאַבְרָם הָעִבְרִי

معناه فى رأيهم ، من هو من نسل « عابر » هذا !!

غير أنا نلحظ أن « أبرام » قد لقب بهذا اللقب مرة واحدة ، بعدها يصمت سفر التكوين عن ذكر ذلك اللقب نحو خمسة وعشرين إصحاحا ، إلى أن يلقب به يوسف حين وفد إلى مصر وكان بينه وبين امرأة

(١) سفر التكوين الإصحاح العاشر .

(٢) سفر التكوين الإصحاح ١٤

العزيز ماكان إذ قالت[1] : انظروا جاء إلينا برجل «عبرى» ليداعبنا !!

أى أننا نجد الاسم «عبرى» هنا وقد استعمل — دون أدنى شك — لقباً لمن ينتمى إلى شعب معين . ثم يتوالى بعد ذلك استعمال هذا اللقب بهذه الدلالة . حتى ينتهى سفر التكوين ، ثم فى سفرى الخروج وصموئيل الأول . فمثلا جاء على لسان يوسف لرئيس السقاة بعد أن فسر له الرؤيا (لأنى قد سُرِقْتُ من أرض العبريين). ومثل الإشارة إلى قوم يوسف مع شعب مصر (لأن المصريين لايقدرون أن يأكلوا طعاما مع العبريين) .

وهكذا نرى أن اللقب «عبرى» قد تكرر وروده فى قصة يوسف وفى البيئة المصرية . أما قبل ذلك فلم يرد فى التوراة سوى مرة واحدة مع «أبرام» وكان فيها غامض الدلالة . أو على الأقل دلالته غير مؤكدة .

ولذلك لانطمئن لرأى هذا الفريق من الدارسين . ونتساءل دهشين : ولماذا اختص «أبرام» وحده بهذا اللقب بين من كانوا من نسل «عابر» برغم أن الفترة الزمنية بين «عابر» و«أبرام» على حسب نصوص التوراة نحو ١٥٠٠ سنة ؟! هذا إلى أن اللقب « عبرى» لم يستعمل بعد «أبرام» إلا مع يوسف وحين كان فى مصر ، وبين «أبرام» ويوسف ما يقرب من أربعة قرون. أى أنه بخلال زمن يقرب من ٢٠٠٠ سنة لانجد بين أبناء «عابر» وأحفاده من يلقب بالاسم «عبرى» غير «أبرام» ومرة احدة!!

وكذلك نتساءل : ولم كانت النسبة إلى «عابر» بالذات ، ولم تكن لمن هو أشهر منه مثل «سام» ؟! أى على نحو ما اشتهر فى العصور الحديثة من نسبة الأجناس السامية واللغات السامية ؟

وأما الفريق الثانى من أصحاب الدراسة التقليدية فيبدأون البحث بالاسم الذى لقب به أبرام فى النص (فأتى من نجا وأخبر «أبرام» العبرى) ، ويرون أن اللقب هنا مع «أبرام» مشتق من الفعل المشهور فى اللغات السامية «عَبَرَ» بمعنى جاوز ، انتقل من مكان إلى آخر . أو من شاطئ إلى شاطىء ، كما يرون أن «أبرام» سمى كذلك لأنه ترك بلاده الأصلية بين النهرين (أور) ، وعبر الفرات نازحا إلى بلاد كنعان .

هم إذن يعدون اللقب «عبرى» مع «أبرام» وصفا أو نعتا خلعه عليه أهل كنعان حين نزح إليهم . ومن هذا النعت اشتق بعد ذلك اسم الشعب كما شهدنا فى قصة يوسف بمصر .

ونحن نلاحظ على هذا الرأى أننا لانعرف فى لغة القوم وصفا على هذه الصيغة «عبرى עִבְרִי » إلا فى حالة النسب .

وأما الوصف العادى المألوف من الفعل «عبر» فهو على صيغة اسم الفاعل أى עוֹבֵר بمعنى العابر ، النازح ، المتنقل ، المهاجر

---

(١) سفر التكوين الأصحاح ٣٩

... إلخ . ولابد إذن أن نفترض أن اللقب עִבְרִי المستعمل مع «أبرام» قد أصابه تحريف ، وأنه فى الأصل على صورة اسم الفاعل עוֹבֵר

ويؤيد ذلك أمران : أولهما أن الترجمة السبعينية تشير إلى لقب «أبرام» على أنه وصف عادى معناه العابر أو النازح ولذلك ترجم فيها بالكلمة اليونانية To Peraté .

فى حين أن الكلمة « عبرى » مع يوسف وفى كل النصوص الأخرى من التوراة عوملت فى الترجمة السبعينية على أنها « علم » لشعب معين ، ولذلك بقيت صورتها كما هى فى لغتها الأصلية مع تغيير طفيف اقتضته أصوات اللغة اليونانية ، فصارت Hebraeos ، Hebraeon مما يدل على أن الأسم «عبرى» مع « أبرام» غيره مع يوسف وما بعده من نصوص .

والأمر الثانى أنه مضت قرون أربعة بين «ابرام» ويوسف خلالها لم يلقب «أبرام» بهذا اللقب سوى مرة واحدة ، ولم يلقب به أحد من كل أبناء «أبرام» وأحفاده وهم كثيرون ، إلى أن كان الشأن مع يوسف وفى مصر بالذات ، فلقّبته به مصرية هى امرأة العزيز ، وظهر من الاسم مع يوسف وبوضوح ، أنه اسم شعب معين كان معروفا معرفة تامة فى البيئة المصرية .

(١) سفر التكوين الإصحاح ١٥

وربما كان التحريف فى لقب « أبرام » من הָעִבְרִי إلى הָעוֹבֵר متعمدا وقصد به أن ينسب «أبرام» إلى الشعب العبرى وحده ، إذ نشعر أن أصحاب هذا الرأى كانوا حريصين كل الحرص على تأييد رأيهم بكل الوسائل المفتعلة ليستأثروا بالميثاق الذى قطعه الرب مع «أبرام» فى النص (فى ذلك اليوم قطع الرب مع «أبرام» ميثاقاً قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات [1]) ؟

ولكنهم تناسوا أن باقى النص كما ورد فى توراتهم يحدد نسل «أبرام» فى عشرة شعوب ويذكر أسماء تلك الشعوب . كما تناسوا عن عمد أن الرب حين غيّر اسم « أبرام » إلى إبراهيم قال (وتكون أباً لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمك بعد «أبرام» بل يكون اسمك إبراهيم لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم) .

نحن إذن بعد ما تقدم لا نطمئن إلى الآراء التى ينادى بها أصحاب الدراسة التقليدية . فى تأصيل الاسم «عبرى» ، ونحاول هنا أن نلتمس فرضا جديدا فى تأصيل الاسم «عبرى» الذى استعمل مع يوسف فى مصر كاسم لشعب معين كان معروفا للمصريين تمام المعرفة .

و هنا تبرق لنا فكرة الربط بين الاسم «عبرى» الذى استعمل مع يوسف وشاع بعد ذلك فى النصوص الأخرى ؛ وبين اسم آخر جاء فى ألواح تل العمارنة وفسرت رموزه على أنه «خبرى[1]» ، وهو الاسم الذى أطلقه المصريون القدماء على أقوام من البدو الساميين الذين كانوا يعيشون على الحدود المتاخمة لمصر: وقد ورد الاسم «خبرى» فى ألواح تل العمارنة المنسوبة إلى القرن الرابع عشر ق.م. فى مناسبتين : أولاهما حين استغاث أمراء سوريا وفلسطين إلى فرعون مصر الذى كانوا يدفعون له الجزية لينقذهم من الشعب البدوى المسمى «خبرى» ، لأنه يشن الغارات على مدينتهم . والمناسبة الثانية هى وصية أمنحتب الثالث لإبنه يحذره فيها من أولئك البدو المجاورين الذين يسمون (خبرى) فقد احتلوا المناطق الصحراوية المتاخمة وأصبحوا قوة لا يستهان بها . وتقول هذه الوصية مانصه: (لقد سقطت الأراضى فى أيدى شعب «خبرى») .

من أجل ذلك نفترض أن الاسم «عبرى» الذى لقب به يوسف فى مصر ؛ والذى اشتهر على ألسنة المصريين كاسم لشعب بدوى مجاور هو نفس الاسم (خبرى) الذى جاء فى ألواح تل العمارنة ، والذى تفيد النقوش أن المصريين القدماء أطلقوه على شعب بدوى على حدود مصر .

ولا شك أن الاسم (خبرى) مستمد من اللغة المصرية القديمة ، وإن كنا لا ندرى حتى الآن دلالته الأصيلة فى تلك اللغة .

وإذا قارنا بين الاسمين (عبرى ، خبرى) وجدنا أن الحروف الصحيحة فيها تتشابه تشابها كبيرا، فى كل منهما ثلاثة حروف صحاح ، أحدها حرف حلق (العين فى الاسم الأول والخاء فى الثانى) ، ثم الباء والراء فى كل من الاسمين .ونحن نعلم أن الإبدال بين العين والخاء ممكن فى الدراسات السامية المقارنة ، بل لقد رويت له أمثلة فى لهجات اللغة العربية مثل : العُنظب، الخنظب = الذكر من الجراد . الدَّعْم، الدخم = الدفع، رجل أصلع ، أصلخ . المَعْن ، المخن من الرجال = الطويل .

أى أن الاسم (خبرى) الذى أطلقه المصريون القدماء على الشعب البدوى. المتاخم هو ما صار فى لغة يوسف وقومه على صورة (عبرى) عن طريق الإبدال بين الخاء والعين ، وعليه فلا

(١) A.A. Trever :
History of Ancient Civilization Vol. 1. P. 66. 83

صلة بين اللقب (عبرى) الذى أطلق على الشعب الذى ينتمى إليه يوسف ومن بعده موسى ، وبين الفعل السامى (عبر) بمعنى جاوز ، انتقل . . الخ .

وكان المصريون القدماء يطلقون على بعض الشعوب الصغيرة المجاورة أسماء مستمدة من اللغة المصرية مثل تسميتهم للفينيقيين بكلمة (تِوْخِى) التى تعنى بالمصرية صانعى السفن . غير أنا لا ندرى لماذا سموا الشعب البدوى المتاخم بالاسم (خبرى) ، ولم نستطع حتى الآن الاهتداء إلى دلالته الأصيلة فى اللغة المصرية القديمة .

ولعل مما يستأنس به فى صحة هذا الغرض تحجر الاسم (عبرى) وعدم اشتقاق اسم اللغة منه إلا فى العصور المسيحية ، وعلى صورة غير مألوفة فى أسماء اللغات كما جاءت فى العهد القديم من أمثال :

עִבְרִית

יְהוּדִית

الاسم عبرى فى التراث الإسلامى :

لم يرد فى القرآن الكريم أى ذكر للاسم (عبرى) ، بل ولا فى الحديث الشريف فيما نعرف . سوى ما جاء فى صحيح البخارى فى إحدى روايتين بمناسبة ورقة بن نوفل (فانطلقت خديجة حتى أتت به (النبي) ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية، وفى رواية بالعربية).

ونحن نرجح رواية «فيكتب من الإنجيل بالعربية» . إذ على فرض صحة الرواية الأخرى نتساءل ، مع دهشة واستغراب : ولمن كان ينقل من الإنجيل باللغة العبرانية؟! ولأى هدف كان يترجم نصوص الإنجيل من لغته الأصلية وهى السريانية إلى اللغة العبرانية ؟!

لذلك نرى أن الأقرب إلى المعقول المقبول هو أن ورقة بن نوفل وهو العربى القرشى كان يترجم نصوص الإنجيل إلى العربية لغة آبائه وأجداده ليهتدى بهذه النصوص قومه وعشيرته .

والاسم (عبرى) على كل حال لم يعرف فى التراث الإسلامى بصورة مؤكدة إلا فى حدود القرن العاشر الميلادى ، فقد اشتهر حينئذ كاسم للغة القوم أكثر منه اسما للشعب .

ويبدو أن ذلك قد بدأ يتسرب إلى التراث الإسلامى بعد تلك النهضة الأدبية التى حاولها اليهود فى الأندلس ، فقد ظهر لهم آنذاك ، وفى ظل سماحة الإسلام ، إنتاج أدبى غزير بلغتهم التى أطلقوا عليها اسم « اللسان العبرى » . ثم شاع هذا الاسم بين المؤلفين من المسلمين ، ولا سيما فى المعاجم العربية . فيقول صاحب معجم لسان العرب : « والعبرى بالكسر والعبرانى لغة اليهود» . ويقول الفيروزبادى : «العبرى والعبرانى لغة اليهود » . ويرى اللغويون العرب أن الألف والنون زيدت فى النسبة عبرانى على غير قياس .

وبالله التوفيق

المشرف على المجلة
ابراهيم أنيس